

مسلمو أوروبا على المذبح الإخواني

فاروق يوسف
كاتب عراقي



الإرهابيين وعلى عقيدتهم. ومن يعرف أساليب جماعة الإخوان لا بد أن ينتبه إلى الحيلة التي تم من خلالها تحويل القصد من الحرب على عقيدة الإرهاب إلى الحرب على العقيدة الإسلامية. كان المستشار النمساوي أكثر نداء من الرئيس الفرنسي، ولم ينج كلامه من تحريفات الإخوان الذين يسعون إلى إظهار العالم الإسلامي بطريقة بائسة، كما لو أنه يقف وراء القتل، ولا يهجم بصير الملايين ممن يتعرضون للكراهية والعزل، بسبب عمليات إرهابية يقوم بها بعض المنحرفين، الذين تم اللعب بدمغتهم بحيث لم يعودوا قادرين على التمييز بين ما يفهمه وما يضرهم. تلك الروح البهيمية الشريرة لا يمكن أن يسيطر عليها ويتحكم بها سوى جهاز منظم، كان الأولي باجتهرة المخابرات الأوروبية أن تضع كل قتلها من أجل تدميره، لا أن تعلن فرنسا عن إغلاق جامع وإلغاء جمعية.

انست مشاعر الغضب والاستياء التي عمّت أوروبا بسبب صدمة مقتل المدرس الفرنسي، على يد طالب شيشاني، السياسيين الأوروبيين حقيقة أن هناك جهة تستفيد من انتشار موجة الكراهية الموجهة ضد المسلمين، الذين هم مواطنون أوروبيون في الوقت نفسه. تلك الجهة هي التنظيمات المتشددة التي تقف وراء العمليات الإرهابية التي ينفذها شباب، سبق لها أن غسلت أدمغتهم ودفعت بهم إلى أن يغادروا سويتهم الإنسانية ويتحولوا إلى وحوش لا تؤمن إلا بعقيدة الموت، التي لا يمكن الوصول إلى أهدافها إلا عن طريق ممارسة العنف ضد بشر أبرياء.

كان اليمين الأوروبي المتطرف يقف عند الخط نفسه الذي تقف عنده تلك التنظيمات التي تقوم بعقيدتها على الإرهاب بالرغم مما يبدو عليهما من تناقض، فالأفغان يسعيان إلى أن يجد المسلم الأوروبي نفسه في وضع حرج ولا يُطاق، محاط بصنوف من الكراهية يصادفها أينما مضى، بحيث يكون مضطرا إلى التفكير جديا بمغادرة ذلك الجحيم الذي كان قبل أن ينشط فيه الإرهابيون نعيما، وهو النعيم الذي لطالما حلم في أن يسعد أولاده وأحفاده في العيش فيه.

ولقد أخطأ الكثير من المسلمين الذين يعيشون في بلدانهم حين انتقلوا ببلاهة وخفة بالغة السفك من إدانة الجريمة التي ضربت البشرية في مقتل إلى إدانة تصريحات الرئيس الفرنسي ماكرون والدعوة إلى مقاطعة البضائع الفرنسية. حينها تحولت الأنظار من المجرم الشيشاني إلى فرنسا التي صارت مجرمة. وكان ذلك هو المطلوب من قبل التنظيمات الإرهابية التي تسعى بكل ما تملك إلى تيشيش المجتمعات الأوروبية ضد المسلمين من أبنائها.

وكما هو متوقع فإن الجهة التي أدت نار الحقد على فرنسا داخل عدد من الدول الإسلامية هي ذاتها الجهة التي تعمل داخل أوروبا على إعادة تربية شباب مسلم والعمل على تخديرتهم بالحدق وتحويلهم إلى إرهابيين وهي الجهة التي تعمل على تطبيق نظريتي "البراء والولاء" و"الحكم لله".

تلك هي جماعة الإخوان المسلمين. وإذا ما تركنا واقعة نيس، التي قتل فيها تونسي شاب ثلاثة أشخاص، وذهبنا إلى واقعة فيينا، التي قتل فيها خمسة أشخاص على يد إرهابي مسلم، فإن آلية ردود الفعل لم تتغير. لقد تم التركيز على ما صرح به المستشار النمساوي من ضرورة الحرب على

الدول الإسلامية والعربية منها في المقدمة إلا إذا تم قطع علاقة شعوب تلك الدول بأوروبا التي هي أساس الحداثة وقلب هذا العصر. كل هذا الإرهاب الأعمى ليس حبا بالإسلام ولا بعقيدته بل من أجل أن تحقق جماعة الإخوان حلمها في الوصول إلى السلطة.

يكتب التمييز في التوظيف الكلمتين الإخترتين من شعار "حرية، مساواة، أخوة" الموجود على واجهة كل بلدية في فرنسا. ويصبح الأشخاص المهمشون والذين يتعرضون للتمييز مجرمين صغارا. ويبقى الإرهاب الإسلامي أحدث مظهر لما أصبح مجتمعنا موازيا. ويطلق على الضواحي الفقيرة في باريس اسم "أراضي الجمهورية المفقودة" لهذا السبب.



حتى الآن، كانت فرنسا موحدة في ردها على الإرهاب الإسلامي. وبدات تلك الوحدة تتصدع مع تزايد عدد الفرنسيين المهتمين من "الحرب ضد الإسلام الراديكالي" التي فرضتها الحكومة، والتي تطغى على خطر تفسيرها كحرب ضد الإسلام. وأقلق إعلان ماكرون الأخير بان الخوف استوطن الجانب الآخر من الفرنسيين، بمن فيهم أولئك المنتمون إلى اليمين المعتدل. لكن هذا الشعور لا ينعكس في وسائل الإعلام التي "تصطاد مع الذئاب بلا حجل".

في 2012، قبل ثلاث سنوات من الهجوم الإرهابي على صحيفة شارلي إيبدو الساخرة، التي كانت أول صحيفة في فرنسا تنشر رسوما كاريكاتيرية



ماكرون يسير على رمال متحركة بدفاعه عن الرسوم الكاريكاتيرية

للتضاعف الفوضي أكثر. وساهمت الحملة في ليبيا في زعزعة استقرار منطقة الساحل، مما أدى إلى المزيد من التدخلات العسكرية الفرنسية. في مثل هذا السياق، تبدو تصريحات ماكرون خرقاء.

لكن واضحين، الخوف من الإسلام لا يميز المجتمع الفرنسي. تعامل فرنسا مواطنيها بشكل أفضل من دول مثل تركيا وإيران وباكستان. ولم يعد المؤرخون والسياسيون (وخاصة ماكرون) في ما يتعلق بتاريخ فرنسا في الجزائر، يخجلون من مواجهة التاريخ الاستعماري. هل يمكن قول الشيء نفسه عن أردوغان الذي يرفض الاعتراف بإبادة الأرمن الجماعية ويضع عشرات الآلاف من مواطنيه وراء القضبان ويعامل مواطنيه الأكراد بوحشية عنيفة؟

تصور النبي محمد، تساعل الرسام اليهودي، جورج فولينسكي، الذي لقي حتفه في هجوم سنة 2015، عما إذا كنا "أغبياء وجازفنا بمخاطرة لا داعي لها. فعلى مدى سنوات، وحتى لعقود من الزمن، كنا نمارس الاستفزاز وفي يوم من الأيام، سينقلب الاستفزاز علينا".

فرانسيس غيليس
باحث مساعد في مركز
برشلونة للشؤون الدولية

قصر الإليزيه ليس المكان الوحيد في فرنسا الذي ينظر إلى ردات الفعل على الهجمات الوحشية التي شنّها متطرفون إسلاميون على الأراضي الفرنسية من دول مثل تركيا وإيران وباكستان على أنها منحرفة وجارحة. إذ يشارك جل الفرنسيين رئيسهم معبرين عن استيائهم، بما في ذلك العديد من المواطنين المسلمين. وضاعف الغضب، مما يُنظر إليه على نطاق واسع أنه تدخل اجنبي في الشؤون الفرنسية من دول مثل تركيا، صدمة فرنسا، إذ قطع رأس مدرس في الشارع. ويشعر العديد من الفرنسيين أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لا يتحدث عن الاضطهاد الوحشي للايغور المسلمين في الصين، بينما يتدخل في بلادهم.

ليس الإبحار في هذه المياه الخطرة بالأمر السهل. ويدرك ماكرون أن القوى السياسية التي أشادت برسومات النبي عندما نُشرت لأول مرة كانت من اليمين المتطرف بقيادة جان ماري لوبان، الذي خلفته ابنته مارين. وهناك شيء خاطئ بالتأكيد، عندما يجد رسامو الكاريكاتير الذين يدعون أنهم في أقصى اليسار أنفسهم أحياء اليمين المتطرف.

وتتعدد وجهات النظر المتطرفة في وسائل الإعلام التي تستبعد أي عرض لنقاشات أكثر عمقا وأكثر اختلافًا. ولا ترى أثرًا لمفكرين وأكاديميين فرنسيين بارزين مختصين في الإسلام وتاريخ الشرق الأوسط في أي مكان.

يُدافع ماكرون عن حرية التعبير والحق في نقد الأديان. لكن قانون سنة 1881 الخاص بحرية الصحافة واضح في إيداعه للتشويه أيضا. يصف الرئيس الإسلام بأنه "دين يمر بأزمة في كل مكان في العالم"، وهي حقيقة مزعجة لا يتمتع العديد من المسلمين بحرية التعبير ولاقتضاها لأنهم يعيشون في بلدان لا توجد فيها حرية التعبير، حيث يتعين عليهم الالتزام بقواعد المجتمعات التي لا تسمح بالتساؤل عن مكانة العقيدة.

يعد اتهام فرنسا بمعاداة الإسلام أمرا خاطئا. إن التزاوج بين المواطنين الفرنسيين المسلمين وغير المسلمين أمر شائع، وينضم أشخاص عديدين من أصول شمال أفريقية إلى الطبقة الوسطى حيث يشغلون منصب مدراء كبار، وحتى وزراء. ومع ذلك، يبدو المستوى البطالة بين فئة السكان غير المؤهلين هائلا، بنسبة تصل إلى 35 في المئة ممن تتراوح أعمارهم بين 16 و24 سنة، وهي نسبة تتضاعف بين أولئك الذين ينحدرون من آباء مهاجرين مسلمين.

يتطلع الرئيس الفرنسي إلى الانتخابات الرئاسية المقبلة، لكنه يخاطر بفقدان جوهرة الإنسانيتي بتبريد بعض مما يروج له اليمين المتطرف. وبتقليله من أهمية الروابط المعقدة بين الهجمات الإرهابية الإسلامية على

يدافع ماكرون عن حرية التعبير والحق في نقد الأديان. لكن قانون سنة 1881 الخاص بحرية الصحافة واضح في إيداعه للتشويه أيضا. يصف الرئيس الإسلام بأنه "دين يمر بأزمة في كل مكان في العالم"، وهي حقيقة مزعجة لا يتمتع العديد من المسلمين بحرية التعبير ولاقتضاها لأنهم يعيشون في بلدان لا توجد فيها حرية التعبير، حيث يتعين عليهم الالتزام بقواعد المجتمعات التي لا تسمح بالتساؤل عن مكانة العقيدة.

تجدد الإشارة إلى أنه عندما أصبحت صحيفة "بولاندس بوستن" اليومية الدنماركية أول صحيفة أوروبية تنشر رسوما كاريكاتيرية تصور النبي محمد، بعد أقل من ثلاثة أشهر من الهجمات الإرهابية على مترو الأنفاق في لندن في 2005، أدان الرئيس الفرنسي جاك شيراك والرئيس الأميركي بيل كلينتون هذه الممارسة. واعتبرت استغلالا لحرية التعبير لتقليل احترام المشاعر الدينية.

يكتب التمييز في التوظيف الكلمتين الإخترتين من شعار "حرية، مساواة، أخوة" الموجود على واجهة كل بلدية في فرنسا. ويصبح الأشخاص المهمشون والذين يتعرضون للتمييز مجرمين صغارا. ويبقى الإرهاب الإسلامي أحدث مظهر لما أصبح مجتمعنا موازيا. ويطلق على الضواحي الفقيرة في باريس اسم "أراضي الجمهورية المفقودة" لهذا السبب.



وتطرح ملاحظته، مهما كانت نواياه حسنة، سؤالا، هل يتمتع القادة الغربيون بأخلاق عالية تسمح لهم بإصدار مثل هذه التصريحات؟ فعلى الرغم من مبرراتها السامية، انتهت التدخلات العسكرية للقوى الغربية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وخاصة في أفغانستان والعراق وليبيا، بفضل ذرع. وفي الدولة الواقعة في شمال أفريقيا أين تدخلت فرنسا،

كان الفيلسوف الفرنسي وزير التعليم السابق المحافظ، لوك فيري، واضحا عندما قال إن "المرء غير ملزم بنشر كرتون شبه إباحي لتعليم حرية التعبير". فكيف يمكن لوزارة التربية أن تعتبر مثل هذه الرسوم الكرتونية "تربوية"؟ ومع ذلك، تحمل الرسوم الكاريكاتيرية السياسية أصولا تاريخية في فرنسا لا تمتلكها الديمقراطيات الغربية الأخرى. وعلى مر السنين، لم تسلم الكنيسة الكاثوليكية من استهدافها بمثل تلك الرسوم. إذا كانت الرسوم الكاريكاتيرية للنبي صورا، فإنها ستعتبر إباحية. فإن تصوير محمد جاثيا على أربع، في وضعية

ردها على الإرهاب الإسلامي. وبدات تلك الوحدة تتصدع مع تزايد عدد الفرنسيين المهتمين من "الحرب ضد الإسلام الراديكالي" التي فرضتها الحكومة، والتي تطغى على خطر تفسيرها كحرب ضد الإسلام. وأقلق إعلان ماكرون الأخير بان الخوف استوطن الجانب الآخر من الفرنسيين، بمن فيهم أولئك المنتمون إلى اليمين المعتدل. لكن هذا الشعور لا ينعكس في وسائل الإعلام التي "تصطاد مع الذئاب بلا حجل".

يحب فرنسا لوبان، الذي كان أول صحيفة في فرنسا تنشر رسوما كاريكاتيرية

يحب فرنسا لوبان، الذي كان أول صحيفة في فرنسا تنشر رسوما كاريكاتيرية

يحب فرنسا لوبان، الذي كان أول صحيفة في فرنسا تنشر رسوما كاريكاتيرية

يحب فرنسا لوبان، الذي كان أول صحيفة في فرنسا تنشر رسوما كاريكاتيرية